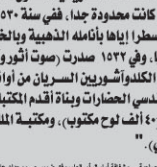

فريد نزها..
القومي الغيور والصحفي الجريء

بقلم : يونان هوزايا

احتفاءا بالعيد الـ ١٦٠ للصحافة السريانية، نقف أجلالا لأرواح شهدائها، ونفخر بذكر رجالاتها، ومنهم الصحفي الغيور فريد نزها، الذي ولد في حماه "سوريا" ١٨٩٤، وكان جده قد نزح من خربوت "تركيا" في ١٧٦٠، درس في مدارس الطائفة السريانية، وفي ١٩١١ هاجر مع عائلته الى امريكا الجنوبية وهو شاب يافع، فأسس في ١٩٣٤ مع صديقه الاديب سمعان فهيم النادي الارامي السرياني، وأصدر مجلته التي ضمنها هموم شعبنا وخلاصة فكره، توفي في بوينس ايرس في ١٩ ت١- ١٩٧٠.

الجامعة السريانية:

مجلة فريد نزها، حملت بصمات نزها، فكانت مرآة حقيقية تتجلى فيها افكاره ومواقفه، لا بل وحتى خلجاته، صدر العدد الاول في بوينس أيرس "الارجنتين" ١٩٣٤، والعدد الاخير في ١٩٥٨، دورية شهرية وبواقع عشرة اعداد سنويا. ويجدر الذكر ان اللغة العربية المستخدمة في "الجامعة السريانية"، سليمة ورصينة وسلسة في التعبير، مقارنة بتلك المستخدمة في الدوريات العربية المتزامنة معها، ونرى ان السبب يكمن في معرفة محرريها للسريانية، أضافة للغة العربية، ومن أبرز من ساهم في المجلة: جبرائيل ريس وابراهيم كوركجي والياس جرجس طراد و جبرا ابراهيم جبرا والطوان رسام ويوسف مالك.. والشعراء الكبار خليل مطران ورشيد سليم الخوري وجبران خليل جبران.

الاضطهادات.. والاصلاحات:

اتسم النصف الثاني من القرن التاسع عشر، والعقود الاولى من القرن العشرين، بأحداث كبيرة فعلت فعلها في تشكيل خارطة الشرق الأوسط، وأثرت سلبا وبقوة في ديموغرافيا امتنا الكلدوآشوريه، اذ أشتملت على اكبر حرب كونية، وطالت شعبنا -وكذلك الارمن- سلسلة من المجازر وحملات الابادة، استهدفت سلخه من ارضه والاستحواذ على املاكه، فمورست ضده شتى صنوف التنكيل والمذابح، وسادت سياسة فرق تسد، وبسبب المآسي والويلات فأن شعبنا فقد مساحات كبيرة جدا من اراضيه في اكاري وآمد "ديار بكر" وطورعبدين وبوتان، ولينحصر تدريجيا في داخل حدود الدولة العراقية والدولة السورية واللبنانية، او يهاجر الى الاصقاع البعيدة.. يرى الدارسون أن هذه مرحلة دقيقة وحساسة من تاريخ شعبنا، فخلالها بدأ الفكر القومي بالتكون والتشكل، وكان لرواده اليد الطولى في ذلك، حيث نقرأ اسماء كثيرة تتوزع على الخارطة الديمغرافية لشعبنا، ففي اورميا وحواليها نتعرف على اسماء تمتعت بمواصفات القيادة ومارست دورها المتميز مستندة الى ثقافتها العالية وغيرتها وأخلاصها لمبادئها.. ومن هذه الاسماء المطران الشهيد توما اودو والقائد الجنرال آغا بطرس الذي توفي منفيا في فرنسا ١٩٣٢، والسياسي العسكري فريدون أتورايا الذي اغتالته الـ "KGB" في ١٩٢٧، والاديب المفكر بنيامين ارسانس المتوفي في طهران ١٩٥٧.. وفي مناطق آمد وبوتان وطورعبدين المعلم الكبير نعوم فائق الذي توفي في الاغتراب الامريكي ١٩٣٠، وشهيد الصحافة السريانية آشور يوسف الذي اعدم في طورعبدين ١٩١٥، والمحامي ديفيد بيرلي، والمطران العلامة ادي شير الذي استشهد في سعرد "جنوب تركيا" ١٩١٧.. وفي نينوى واطرافها اسماء كثيرة منها السياسي يوسف مالك الذي توفي مبعدا في بيروت ١٩٥٩، واللغوي الغيور يوسف قليتا في الموصل ١٩٥٢، وغيرهم امثال عميد اللغة السريانية عبد المسيح قره باشي توفي في بيروت ١٩٨٣، والعلامة مار يوحنا دولباني المتوفي في طورعبدين ١٩٦٩.. ظروف صعبة وحرجة مر بها شعبنا بعد الحرب الكونية الأولى وصولاً الى أنتفاضة سميل ١٩٣٣، حيث الاستعلاء القومي الشوفيني، وممارسة سلطات بغداد -ضباط الجيش العثماني- شتى الضغوط على شعبنا، بتغذية التوجهات الطائفية وتأليب هذا على ذاك.. وهذه كانت كافية لتحفيز المثقفين والغيارى عموما للتكاتف حتى خارج الوطن، فقد تبلورت مواقف قومية واضحة منها تأسيس اتحادات واندية وجمعيات قومية في المهاجر خاصة، كاتحاد الاندية والجمعيات الآشورية الامريكية "Federation"، والذي تأسس على اعقاب انتفاضة سميل.. وبداية صدور مجلات وصحف عديدة تولى ادارتها نخبة من الكتاب القوميين امثال نعوم فائق ويوسف مالك وفريد نزها وغيرهم.

وقد طرحت مشاريع فكرية منها قومية وحدوية للمعلم نعوم فائق وآشور يوسف وفريد نزها، ومنها مشاريع سياسية فدرالية كآغا بطرس وفريدون أتورايا ويوسف مالك، ومنها قومية وطنية كمشروع انطوان سعادة "في سوريا"، وثم مشاريع اممية كالمشروع الشيوعي الذي انخرط فيه الشهيد فهد ورفاقه، وهكذا يستخلص الدارس في اكثر من موقع ملامح النهج الذي تبنته مجلة "الجامعة السريانية"، خصوصا وانها اتخذت اسلوب اجابات وافية بقلم محررها -نزها- على اسئلة وتساؤلات -واحيانا هجمات- القراء، وبذلك فأنها كانت على اتصال واضح بقرائها الذين لم يكونوا في بوينس آيرس والجمهورية الفضية "الارجنتين" فقط، وانما من مدن امريكية شمالية وجنوبية اخرى وكذلك من شرقنا، خصوصا من سوريا والعراق ولبنان.

القومية.. والتسميات:

ان الفهم العميق لموضوع "أشكالية التسمية" ضروري، فلاسباب منها التاريخ الموغل في القدم ومرور اكثر من خمسة وعشرين قرنا من غياب الحكم الوطني بسقوط نينوى وبابل، برزت اسماء تدل على شعبنا او على اجزاء منه وفي مراحل معينة من تاريخه، ولأسباب محددة جغرافية او ثقافية او غيرها.. والفهم العميق يستند إلى اننا شعب واحد، وان جميع التسميات تضيء تاريخ هذا الشعب من زوايا مختلفة، ويظهر فهم وادراك وايمان محرر مجلتنا "فريد نزها"، فنرى استخدامات طبيعية لجميع هذه التسميات وبتلقائية على صفحات "الجامعة السريانية":

* فجاء في ص"٣٤" من العدد الثاني - لسنة ١٩٣٤ ما يلي:

"السريان".. انه ليذهلني تمادي بعض المتجاهلين المتلاعبين المأخوذين بتعصبهم الاعمى في تأويلهم لأصل اسم بسوريا، وان احدهم يجيز لنفسه ان يحمل اسم بلاده مشتقا من اصل اجنبي تفضيلا منه على ان يكون اصله الحقيقي "الآشوري".. فاسم السريان يرجع الى الاصل الآشوري ومهما نقب الباحث ولفق في ارجاع هذا اللفظ الى اصل غير الآشورية..".

يبدو انه كانت هناك تساؤلات عن سبب تسمية المجلة التي نحن بصددها بالجامعة السريانية، وكذلك النادي الآرامي السرياني.. ويجيب فريد نزها عن هذا التساؤل في ص"٣٢٣" من العدد ١١ و ١٢ لسنة ١٩٤٣: "ان التسمية السريانية هي دخيلة بصيغتها اصيلة بحقيقتها.. هذا ما حدا بنا عندما أسسنا النادي الآرامي السرياني وانشأنا هذه المجلة (الجامعة السريانية) فقد خطر لنا اولا ان ندعو النادي (النادي الآرامي الآشوري) والمجلة (الجامعة الآشورية) ولكن اشتهار امتنا في الخافقين منذ اكثر من الفي سنة بأسم (السريان) اضطرنا لأستعمال الاشهر مراعاة لمفهومية العامة".

ومن المعلوم ان فريد نزها وبتوقيع "الكاتب السرياني" كتب سلسلة مقالات بعنوان "الامة السريانية"، يقول في العدد / ٢/ لسنة ١٩٣٤: "متى قلنا الامة السريانية اردنا بذلك كل النحل والملل السريانية على اختلاف نزعاتها واهوائها وهم بين نساطرة و يعاقبه وموارنة وكاثوليك، يرجعون جميعهم الى اصل واحد سرياني كلداني ارامي لا تشوبه عجمة ولا تدخله ريبة، اما ما نراه بينهم من التباين فذلك الاختلاف في المذهب"..

* وفي ص ٢١ و ٢٢ من العدد المركب ١و٢و٣ ولسنة ١٩٥٨ : "التسمية السريانية الاصلية باللغة الانكليزية هي Assyrian فهذه لا ولن يمكن تبديلها.. هذه القضية لا أشك ابدا ان غبطة بطريركنا الحالي سيقضي فيها بنظره الثاقب، ونحن نرى ان غبطته في مؤلفاته التاريخية يشيد بحقيقة الاصل بارجاعه نسبتنا الى الارومة الآشورية البابلية ..".

البطريرك مار افرام برصوم العلامه المعروف وصاحب اللؤلؤ المنثور، ترأس في ١٩١٩ وفدا قوميا مشتركا الى مؤتمر السلام في باريس اذ قدم مشروع الدولة الآشورية الكلدانية، وحضي وفده بمقابلة الرئيس الامريكي ويلسن صاحب مشروع المبادىء الاربعة عشر والتي منها حق الشعوب في تقرير مصيرها، والذي خاطب الوفد قائلا: يا ابناء الامة الآشورية الكلدانية.

بين الدين والسياسة:

قد يكون شعبنا في مقدمة الشعوب التي ربطت بين حياتها كأمة وبين معتقداتها الروحانية.. الى درجة نمو صراعات حقيقية في فترات مهمة من تاريخ شعبنا وخصوصاً في المراحل العصيبة والمعقدة منها.. وحول تداخل هذه السلطات تذكرنا مقولة القائد الكبير آغا بطرس للبطريرك مار شمعون بنيامين "قبل استشهاده الاخير غدرا على يد سمكو الشكاكي"، عندما خاطب آغا بطرس البطريرك قائلا: "خذ الصليب لك ودع السيف لي".

ويقينا ان هذا الفهم كان واضحاً لدى محرر الجامعة السريانية.. ففي مقال له بعنوان "الدين والسياسة" في ص(٩٥) العدد (٤) لسنة ١٩٤٠: "لقد آن ان تنفصل السلطة الدينية عن السياسة، بل ارى ان ذلك من دواعي سلامة الدين وحفظ كرامته".

* وفي العدد ١١- ١٢ لسنة ١٩٥٨، يبعث القس يوسف سعيد "كركوك" والذي هو من رواد الشعر العربي والسرياني الحديث في العراق، رسالة الى المجلة يقول فيها: "... طالما لا يوجد عندنا صحيفة اخرى غير مجلة "الجامعة السريانية" فلماذا لا تكون رسميا لسان حال البطريركية والطائفة..."، يجيبه فريد نزها... فيقول: "الجامعة السريانية لم تقم لخدمة البطريركية والطائفة فحسب، بل قامت لخدمة كل ما يشمله الاسم السرياني من شعب وتاريخ ودين وادب وعلم وفن و..".

- وفي ص (٤٤) من العدد الاول ك٢ - ١٩٤٥ يرد نزها على جورج جرجور:

"ان الجامعة السريانية تصدر باسم الامة السريانية وهي منها ولها، ولكنها لم تصدر بأجازة دينية صادرة عن دين او هيكل يتولاه زعيم روحي فيقدم او يؤخر شيئا في سيرها واسلوبها، وهي مع ذلك تتناول كل نواحي الاصلاح بما فيها القضية الدينية ايضاً...".

- جاء في "الجامعة السريانية" ص(٣٢٤) من العدد ١١ و ١٢ لسنة ١٩٤٣:

"..الفرق السريانية الآشورية من حيث تقسيمها المذهبي ترجع الى: "اليعاقبة وهم اقدم الفرق المسيحية اجمالا والسريانية خصوصاً ويعرفون بالسريان القدماء من باب الغلبة وتمييزا.. ثم النساطرة ثم الموارنة في جبل لبنان ثم الكلدان المنفصلون عن النساطرة التحاقا بروما.. ثم السريان الكاثوليك المنفصلون اخيراً عن السريان الارثوذكس القدماء بتدخل روما وفرنسا في الجيلين ١٩/١٨ لغاية سياسية خبيثة المقاصد في افساد روح الشرق والتدخل في شؤونه".

ثبات على النهج:

- جاء في مقدمة العدد (١و٢) لسنة ١٩٤٦: "..ان الشيء الوحيد الذي لا يموت ولا يخشى عليه كساد ولا يدركه الافلاس هو الفكر النبيل، المبدأ الاصلاحي الهدف الصحيح..".

- بعنوان "واجب الصحافي عند السريان" كتب نزها في ص(٥٤) العدد (٢و٣) ١٩٤٧:

"..ان الجامعة السريانية مجلة حرة، والدليل على ذلك تنكبها عن الطريق التي يريدها عليها الكثيرون الذين يودون لها النجاح المادي ولكن عن طريق المداهنة والملاينة والتضليل، وهي طريقة سهلة ولكنها نجسة حقيرة، لو كنا نرمي اليها ما كنا نزج بانفسنا في معترك الصحافة، فهناك مرافق حيوية عديدة لتحصيل المال لو ان غايتنا مجرد الحصول على المال والمتعة الزمنية.. ولكن ان نتجرد للخدمة عن طريق الادب بغية الاصلاح الاجتماعي وترويض الافكار على الجرأة والصراحة واعدادها لأقتبال الحقائق واحتمالها ونبذ الاوهام وتسفيهها ونشر الوية الثقافة في ربوعنا بالتبجيل ..".

وفي ص(٧) من العدد (١و٢و٣) لسنة ١٩٥٨، يقول فريد نزها: "..لقد قطعت الجامعة السريانية " ثلاث وعشرين مرحلة تخطتها بصعوبات جمة وصراع عنيف كلفها الصدور بصورة بطيئة وعلى شيء من الضعف.. ولكن المجلة على كل حال داومت الصدور مؤدية الرسالة ما رسم لها مصدرها الطريقة والهدف... هذه ثلاث وعشرون سنة تمر من حياة المجلة وطريقها في البحث وتحليل القضايا الاصلاحية التي ترمي اليها من متطلبات الرقي ورفع مستوى الامة السريانية لم يطرأ عليها اقل انحراف..".

ثلاث محطات من مسيرة الصحافة السريانية

بقلم: أكد مراد

لا شك أن الصحافة الحقيقية لا يمكن لها النجاح دون ان تتمتع بالحرية الكافية.. ليتاح لنشاطها التفاعل مع المعطيات التي يعيشها الشعب والامال والأهداف التي يعمل من أجلها.. وما نلاحظه اليوم في أغلب الدول ان مجال تطور الصحافة في تصاعد مستمر مع التعقيدات التي افرزتها الحياة الجديدة، ومن أجل تحقيق أهدافها وضع العديد من القوانين الدولية والمحلية بهدف حماية الصحفيين من الضغوطات لتنال مكانها المؤثر كسلطة رابعة... إلا أن الأقليات في مجتمعاتنا لا زالت تعاني من مشكلة الصحافة الفاعلة تقودها بنفسها تعبر عن ما تعانيه داخل مجتمعها ومع الآخرين بسبب تراكمات الماضي وامكاناتها المحدودة بحكم حجمها وكذا تاثير الامور بارادات غير ارادتها وبهذا تفقد الصحافة فعلها فيهم ويصبح وجودها من عدمه لا يضيف شيئا.. ولمصالحة الأمر لا زالت أمام الجميع مسؤوليات للتعاون من أجل نيل صوت الأقليات مكانته الطبيعية بين الأصوات الأخرى في الوطن الذي يجمعهم جميعاً. وبمراجعة بسيطة تاريخية لواقع المجتمعات المتعايشة في المنطقة في ظل السلطات الدكتاتورية التي حكمت البلاد لفترة طويلة عانت فيها الشعوب الكثير من المشاكل والظلم والاضطهاد والحرمان من أبسط الحقوق الانسانية ومع الزمن تراكمت التأثيرات على جميع مفاصل حياتها.. والشعب الكلداني السرياني الآشوري كان من بين ضحايا هذه التجربة المرة عاش مغيباً في وطنه لا يحق له ممارسة حقه للغته القومية في التعليم أو أي نشاط وحتى الاحاديث أحيانا عن تراثه أو ثقافته كانت تعتبر خروجا عن الثوابت التي لا يسمح النظام الحديث بها.. وبهذا أصبح الأمر في وضع صعب.. والعودة للحالة الطبيعية بعد تغير الدولة إلى الديمقراطية تتمثل الجميع... تحتاج إلى وقفة جدية تحلل وبدقة الواقع وتصل بشكل فاعل عبر قوانين عملية تنيل الأقليات مكانتها الطبيعية وحقها مع بقية الأطياف والألوان في الوطن.

المحطة الأولى/ للصحافة السريانية.. التأسيس

بملاحظة بسيطة لتاريخ الشعب الكلداني السرياني الآشوري في بدايات القرن الثامن عشر الميلادي ومع وجود تنفس للحرية في مناطق اورميا-ايران نلاحظ إقبال الناس على التعليم باللغة الأم السريانية شمل وخلال فترة قصيرة أكثر من ٢٠٠ مدرسة كانت تدار من قبل أبنائها بتعاون بين الآباء الامريكان والبريطانيين ضمن الارساليات التبشيرية حيث جلبوا معهم المطابع اليدوية التي ساعدت في طبع العديد من الكتب السريانية.. المدارس المذكورة نالت السمعة العالية والكثير من خريجيها أكملوا دراساتهم في أمريكا والدول الاوربية وبهذا تأسست للثقافة القومية بشكل واسع بين أوساط الناس مستفيدين من التطورات التي كانت تعيشها اوربا وامريكا.. وفي عام ١٨٤٩ وبجهود المبشر الأمريكي جاستين بيركنز وبمشاركة د.بنيامين لابارن صدر العدد الأول من صحيفة "زهريري دبهرا" في ١٨٤٩/١١/١ وساعدهم فيها ميرزا شموئيل وهو كاتب آشوري لعب دوراً مهماً في ترغيب الصحيفة من خلال ما كانت تحمله من مواضيع وأخبار العالم وتحليلات ومساهمات القراء.. الصحيفة صدرت باللغة السريانية تعتبر الصحيفة المذكورة الاولى في تأسيس الصحافة السريانية "في السنوات الأربع الأولى صدرت شهريا وبأربع صفحات بعدها توسعت إلى ثمانية ثم اثنتي عشرة صفحة ونصف شهرية وكان مجموع ما يطبع منها بين ٥٠٠ و ١٠٠٠ نسخة استمرت في الصدور وبشكل متواصل إلى عام ١٩١٨" وبهذا سجلت رقما مشرقا في عملها وتواصلها ولولا الحرب العالمية الأولى وما أفرزته الظروف على ابناء الشعب الكلداني السرياني الآشوري من تشريد وابادات جماعية في أغلب مناطق تواجدها لاستمرت الصحيفة في الصدور وإلى اليوم.. وللاشارة على ان الصحيفة المذكورة لم تكن الوحيدة بل صدرت صحف أخرى مثال/ صوت الحق ١٨٩٧-١٩١٥ "البعثة الآشورية" ١٨٩٠-١٩١٥ /رسائل من آشور ١٨٨٧-١٨٨٩ وصحف أخرى..

المحطة الثانية/ الصحافة السريانية في سهل نينوى

مع تواجد المبشرين الدومنيكان والبريطانيين ومحاولاتهم لتأسيس نفوذ لنشاطهم في مناطق سهل نينوى ومع مطابع يدوية في المنطقة باشرت الطباعة باللغة السريانية في الانتشار من خلال الآباء في الكنائس.. وكانت مبادرة الاباء الدومنيكان ويتعاون عدد من ابناء المنطقة في اصدار أول مجلة عراقية وباسم "اكليل الورد" في كانون الأول ١٩٠٢ وباللغات السريانية والعربية والفرنسية.. حملت بين طياتها الطابع التوجيهي والتثقيفي، تواصلت في الصدور شهريا ونالت الاقبال الجيد من القراء. استمرت مجلة "اكليل الورد" السريانية من ١٩٠٤ إلى ١٩٠٨ وأسباب توقف المجلة جاءت نتيجة تزمت أغلب رجال الكنيسة آنذاك بضرورة الالتزام بالكتابة باللغة السريانية الفصحى في المجلة ما تسبب في تقليل متابعيها والكتاب فيها حيث بقيت في أعدادها الأخيرة لكتاب عائدين للمجلة فقط.. كما انفرد الأب حنا قريو في السنة الرابعة من عمر المجلة كمحرر وحيد يكتب ويترجم غالبية مواضيع المجلة.. وفي تموز ١٩٠٨ كان آخر عدد للمجلة وبعدها توقفت عن الصدور..

- وللاشارة نقول ان المجلة المذكورة تعتبر في قائمة الصحف والمجلات العراقية/ المجلة الاولى للعراق.
- كل عدد من المجلة كان يضم "١٦" صفحة
- مجموع الأعداد الصادرة خلال "٤" سنوات "٤٨" عدداً أي بمعدل "١٢" عدد لكل سنة.
- توجه المجلة كان دينياً تربوياً اضافة للأخبار والنشاطات العامة.
- أما المجلة المماثلة باللغة العربية استمرت من ١٩٠٤-١٩٠٩ صدر منها ٩٦ عدداً.
- المجلة باللغة الفرنسية استمرت من كانون الأول ١٩٠٦ إلى كانون الثاني ١٩١٠.

الأحداث والقلاقل التي جرت في المنطقة كانت من بين الأسباب في عدم استمرار الاصدارات السريانية وحصر الصادر منها في مناطق محددة دون ان يكون له التأثر المناسب.

رغم وجود بعض الاصدارات بين فترة وأخرى في بلاد النهرين أمثال "نشرة الأحد" -من بغداد ١٩٢٢-١٩٣٧ و"البرعم" ١٩٢٥-١٩٣٢ من الموصل/ "الاثوري" من بغداد ١٩٢٧ و"صوت من الشرق" موصل/ "النجم" موصل و"الفكر المسيحي" بغداد وغيرها، أغلب هذه الاصدارات التزمت الخط الديني التربوي التوجيهي إلى بدايات ١٩٧٠ وبعد اقرار منح الحقوق الثقافية في ١٦ نيسان ١٩٧٢ ومع متنفس من الحرية باشر الأبناء والكتاب بتأسيس العديد من المؤسسات الثقافية والاعلامية في بغداد والمحافظات وصدرت العديد من المجلات المعتبرة منها مجلة بين نهرين موصل ١٩٧٣ لازالت مستمرة في الصدور تراثية ثقافية/ مجلة "قالا سوريايا" بغداد ١٩٧٣ استمرت إلى أواسط الثمانينات والمثقف الآثوري بغداد ١٩٧٤ واستمرت إلى ١٩٩١ ومجلة المجمع السرياني - بغداد ١٩٧٥ لازالت مستمرة في الصدور عن المجمع العلمي السرياني. الظروف والمضايقات التي عاشها غالبية الابناء والكتاب خاصة بعد الثمانينات من قبل السلطات الحاكمة في بغداد أوقفت أغلب النشاطات السريانية ومنها الاصدارات وهاجر غالبية الابناء والكتاب - نتيجة ملاحقتهم من قبل النظام. ولهذا بالامكان القول ان فترة الثمانينات من القرن الماضي تعتبر فترة الانحصار وتوقف لأغلب الاصدارات والنشاطات السريانية في بغداد والمدن الأخرى عدا الاصدارات الدينية.

المحطة الثالثة/ بعد الانتفاضة المباركة في آذار ١٩٩١

كانت النقلة نوعية في مسيرة النفير بعد الانتفاضة المباركة في آذار ١٩٩١ في اقليم كردستان حيث لأول مرة تنفس الشعب بكل مكوناته هواء الحرية واستطاع ان يؤسس عبر انتخاب ديمقراطي حر أول برلمان وتشكيل أول حكومة في اقليم كردستان. كما استطاعت صحيفة بهرا التي صدرت في حزيران ١٩٨٢ في جبال كردستان تظهر وبشكلها العلني في محافظات أربيل دهوك سليمانية وتنشر للقراء ما عاناه شعبنا في ظل النظام الدكتاتوري من تزيف للتاريخ وفي ضوء ما كان يحلو له من أفكار مريضة بهدف صهر القوميات ومحاولة مسح وجودها. استطاعت الصحيفة المذكورة إيصال صوت الانتفاضة والنضال من أجل الحقوق المشروعة لأبناء الشعب الكلداني السرياني الآشوري في وطن الأجداد "بلاد النهرين". كما صدرت بعدها مجلة "نجم بين النهرين" من قبل المركز الثقافي الآشوري في دهوك ١٩٩٢ وأعقبتها اصدارات أخرى.. عبرت وبحرية عن مطاليب الشعب وحقوقه المشروعة.. ومن خلال تجربة اقليم كردستان التي ابرزت الكثير من الصحفيين والكتاب والملاكات الاعلامية في الاذاعات السريانية العاملة في أربيل ودهوك كذلك محطات التلفزيون آشور -أربيل ودهوك- كانت نواة للتحرك بعد سقوط النظام في بغداد نيسان ٢٠٠٣ وفتحت الطريق لأكبر ساحة لتواجد شعبنا السرياني في بغداد وسهل نينوى ومركز الموصل وكركوك والبصرة وغيرها.. إلا أن الارهاب والأحداث الاجرامية التي حصدت أرواح العشرات بل المئات من أبناء الوطن على الهوية أو العرق والقومية كان لها الأثر السلبي الكبير على نفوس الناس بعد انتظار طويل للحرية التي كانوا يحلمون بها.. وعلى اثرها هجر المئات من أبناء شعبنا إلى خارج الوطن ومنهم إلى مناطق أخرى وخاصة لمحافظات أربيل ودهوك.. وهذه الأوضاع أثرت وبشكل صاعق على ما كانوا ينتظرون فعله بعد سقوط النظام "للعودة الحقيقية للجذور الأصيلة في الثقافة والتراث الذي زيفه النظام خلال عهود حكمه".

واليوم شعبنا الكلداني السرياني الآشوري يعيش محطة صعبة وأقلامه الخيرة التي هاجرت أغلبها الوطن للبحث عن الأمان/ خسرت مكانها في واقع المشهد الثقافي العراقي الأصيل.. وللعودة إلى أحضان الوطن ورفد البلد بالابداع والتنوع لابد من بذل جهود ووضع برامج عملية تخدم واقع حال أبناء الوطن ومنهم شعبنا السرياني كما يعود هذا المكون الأصيل مع اخوانه في البناء والتغير الحقيقي نحو غد أفضل يضمن حق الجميع.

صحافة السريان أم..
الصحافة السريانية؟!

جورج هسدو

ونحن نحتفل بالذكرى المئة والستين لإنطلاقة باكورة الصحافة السريانية "زهريرى دبهرا" التي صدرت في أورميا بإيران عام ١٨٤٩، وهي المناسبة التي يحتفل بها صحفيونا الكلدوآشوريين السريان ومعهم عموم شعبنا والأصدقاء بيوم الصحافة السريانية، نتقدم في البداية بتهانينا القلبية متمنين لصحافتنا دوام التقدم والتطور ولصحفيينا الموفقية والنجاح. لكننا أيضا نتساءل عن ما نمتلك اليوم من صحافة، هل هي صحافة سريانية تتعامل بأدوات وتتداول مفردات وتتبنى توجهات وتحافظ على مقومات وتخطط لبلورة أفكار الكلدوآشوريين السريان؟، أم أنها صحافة تحمل اسماء وتدار من قبل من ينشرون فيها ويعملون بها وتتكلم عن الكلدوآشوريين السريان؟.

وفي هذا الصدد يقول الملفان نعوم فائق رائد الصحافة السريانية "١٨٦٨-١٩٣٠":

"لكل يعلم أن الجرائد في الشعب هي لسان حاله، والشعب يعرف بجرائده، ولولا الجرائد لظلت الأمم خاملة الذكر، فاقدة الشرف القومي، محتاجة لكل فضيلة علمية أو أدبية أو تاريخية، والأمة التي ليس لها جرائد هي أمة خرساء وصماء وخاملة، إن الأمة التي لا تحترم نفسها لا يحترمها الغير. والأمة التي لا تحافظ على نفسها، ولا تغار على لسانها، ولا تسعى لإثبات وجودها، ولا تنشر تواريخها، ولا تطبع كتبها، ولا تحافظ على أدابها ولا تناصر صحافتها. من يعرفها؟ ومن يسمعها؟".

كما عبر عن ذلك الصحفي المبدع فريد الياس نزها صاحب "الجامعة السريانية" "١٨٩٤-١٩٧٠" بقوله: "تحتاج صحافة حرة لأن الصحافة هي روح الأمة وحياتها ومظهرها الوضاء الذي يبين منزلتها ويرفع شخصيتها. إن النشرات والمطبوعات لها أهمية كبرى في حياة الأمة، وبواسطتها يمكن جمع أفكارها، وتوجيه غاية أية أمة، وصرفها إلى وجهة إصلاحية واحدة. بل هي العامل الأكبر في توطيد دعائم اليقظة والتجدد. كما أن الصحافة هي الناظر العام والمفتش الأعلى، بل هي ترسم الخطط وتلهي بالأوامر والتقارير بما تحمله من آراء أبناء الأمة المتنورين وأحرارها، فيأخذ بها رجال الإدارة في المعاهد الأدبية والدينية والاجتماعية ما يرونه نافعا وملائما لروح محيطهم وعوامل نهضتهم، ثم هي سلاح قوي للدفاع عنهم لدى كل الطوارئ وفي كل الظروف".

من المعلوم أن ما يمكن أن نطلق عليها أسم "الصحافة السريانية" هي تلك الصحافة التي تروج للثقافة السريانية بمختلف فروعها وتعمل بأدواتها وأهمها اللغة، وهنا نتكلم عن اللغة الأم للشعب الكلدوآشوري السرياني. ومن الضرورة بمكان ونحن نتحدث عن صحافة سريانية خاصة وخالصة أن يتم النشر باللغة السريانية، وهو ما يعني توسيع رقعة التداول بهذه اللغة ورفع نسبة المتعاملين معها من الكتاب والقراء على حد سواء. وهو الأمر الذي سيساهم كثيرا في تطوير حقل الصحافة السريانية وينمي قدرات الصحفيين والمثقفين الكلدوآشوريين السريان، كما أنه سيشكل فعلا مضافا لعملية التعليم السرياني، تلك التجربة الرائدة التي مارسها شعبنا منذ أكثر من خمسة عشر عاما في إقليم كوردستان العراق ومناطق خارجه للتمسك بهويته القومية، وهو الأمر الذي سيفتح أبوابا واسعة أمام المتخرجين وحتى المستمرين بالدراسة في التعليم السرياني.

ولسنا ندعو هنا إلى مقاطعة باقي اللغات الحية التي يتعامل بها أبناء شعبنا إن كانت العربية أو الكوردية أو حتى الإنكليزية، بل هي سمة إيجابية للصحافة السريانية أن تتعامل نشرا وقراءة بهذه اللغات لكن ليس على حساب اللغة الأم السريانية. فأي صحافة في العالم تكتسب أسمها من لغة شعبها القومية التي تنشر بها، حيث بخلافه فإنها ستكون صحافة عامة تتناول قضايا ذلك الشعب.

ثم تأتي بالدرجة الثانية عملية التعاطي مع هموم وشؤون أصحاب تلك اللغة، وفي مقدمتها مسألة تعبئة الرأي العام لمناصرة قضاياهم الجوهرية. عليه يجب على الصحافة السريانية أن تعمل على تعبئة وتوجيه الرأي العام في عموم العراق وكوردستان خاصة نحو نصرة قضية الشعب الكلدوآشوري السرياني. وذلك من خلال التعريف بمزايا الثقافة السريانية، ومن ثم السعي لقبولها من المتلقين من خارج البيت القومي. وبعدها تأتي عملية التلاقح بينها "الثقافة السريانية" وبين باقي الثقافات العراقية لخلق ثقافة وطنية عامة تصب في مصلحة المواطنة الحقيقية، وتقلل من الحواجز والفوارق الفكرية الموجودة بين مختلف أطياف الشعب العراقي.

أما إهمال اللغة الأم السريانية وإعتبارها لغة ثانوية في موضوعة النشر والإعلام من قبل الصحفيين والمؤسسات الإعلامية للكلدوآشوريين السريان، فإنه سيؤسس لصحافة سريان فقط وليس لصحافة سريانية. وهو ما يعني بقاء الصحافة السريانية أسيرة الصحافات والثقافات الأكبر وتفقد دورها الحساس في بناء إحدى أهم وسائل التأثير في المجتمع الكلدوآشوري السرياني ألا وهو الصحافة.

وستبقى مؤسسات شعبنا الصحفية والإعلامية تفتقر إلى الملاك المتعامل مع اللغة السريانية بأطر منهجية وعلمية، وستبقى شريحة الكتاب الأوسع بين أبناء شعبنا توظف لغة أخرى بديلة، وهو ما ينطبق بعدها على شريحة القراء أيضا. وعندها ستبقى صحافتنا "صحافة سريان" وليست "صحافة سريانية".

مجدا لصحافتنا السريانية بذكرى ميلادها الستين بعد المائة

بقلم: بدران امرايا

"أذ نحتفي بالعيد الـ١٦٠ لصحافتنا السريانية، نقول انه سبق هذا التاريخ صدور أكثر من (دورية)، ولكن يبدو انها كانت محدودة جدا، ففي سنة ١٥٣٠ (أي قبل ٤٧٩ سنة) اصدر سعيد حمورابي (بيث نهرين) مسطرا إياها بأنامله الذهبية وبالخط السرياني الغربي، في قلعتنا الشامخة (مردين) بتركيا، وفي ١٥٣٢ صدرت (صوت أثور وآرام) في مدينة تكريت بخط اليد أيضا، أي كان أبناء امتنا الكلدوآشوريين السريان من أوائل الأقوام الذين اهتموا بمجال الصحافة، فهم امتداد لمهندسي الحضارات وبناة أقدم المكتبات الزاخرة بالألواح الطينية من مكتبة نيبور السومرية (٤٠ ألف لوح مكتوب)، ومكتبة الملك العظيم آشوربانيبال بمدينة نينوى (٢٠ إلف لوح طيني)."

تعد الصحافة أو السلطة الرابعة، مهنة المتاعب وصاحبة الجلالة، كما اصطلح عليها، وهي الوجه المشرق والمرآة العاكسة لأي مجتمع أنساني متحضر، لما تضم من معان وقيم سامية ونبيلة في الاضطلاع بمهامها ودورها الريادي المهني والرقابي، فهي التي تسلط قبسات من نورها المشع على زوايا وخبايا الأمور، وترصد أية حالة ايجابية كانت أو سلبية، لتكون واضحة وشفافة أمام الرأي العام، وفق ضمير حي ووجدان عادل وبتعابير شيقة وسلسة وبمنطق سلم يبعدا عن منطق الإقتاب والإسهاب والمداهنة والتزلف التي تطمر الحقيقة وتطمس معالمها الروحية، فجوهر الصحافة يكمن في انها العين الساهرة والراصدة لقضايا الإنسان، وكل ما له صلة بالحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وسبل ديمومتها، ووضع المجتمع أو الرأي العام في صورة حدثت وتحدث الآن وستحدث مستقبلا، أي عرض الحقائق كما هي، ومن ثم مطالبة الكتاب والمفكرين والمحللين السياسيين الاجتماعيين والنفسانيين بتحليلها وتفكيك طلاسمها ليدرك الإنسان أين هو من ما يجري على خارطة الحياة، فالصحافة أو الإعلام النزيه مدرسة حقيقية لتنوير المجتمع او الخبز الحار اليومي للناس، فكما هم يتناولون الخبز يوميا لإدامة الجسم بالطاقة اللازمة، كذلك فهم يشترون الصحف اليومية ويتصفحونها قبل الشروع بالأكل أحيانا، لتغذية وإشباع الفراغ وحاجة الفكر والروح فالكلمة الصادقة الأمينة تشبع وتعد الغذاء الروحي للنفس، لما تشكله وتعده من فراغ روحي ونفسي عند الناس المتعطشة للمكون الفكري، فالكلمة النزيهة والصريحة والصارخة بالحق، تعد إكسيرا للحياة والفكر الإنساني النبيل، وكما جاء في سفر التكوين (في البداية كانت الكلمة ومن الكلمة صار كل شيء) والكلمة الطيبة تبعث الراحة والطمأنينة والاستقرار النفسي، والصحافة بأنواعها الثلاثة المسموع والمقروء والمرئي، هي مصدر الكلمة ومنبعها المستقيم، والإنسان بطبيعته الفطرية يتطلع لإشباع حاجة داخلية في صميم أعماقه بقوة تلك الكلمة، أذ أنها تفجر منابع الأمل وتفتح مروج الآمال الزاهية أمام مداركه وتلهمه بالقوة ليجتاز معضلات الحياة ومنغصاتها، ويشق سبيله وسط أمواجها العاتية وهو متسلح بسلاح الأمل ولا يبعده شيء من بلوغ الأمال المنشودة، وبقوة الكلمة أيضا يمكن أن يسدل الستار الأسود على الحياة تمحو الإنسان والأمم من خارطة الحياة والوجود، وقوة كلمة الصحافة هي السلاح العصري الحديث والرقيب الأول والمتابع، والعدو اللدود للرؤساء السياسيين والمشاهير من الفنانين والمطربين، والرقيب الأول والمتابع الشغوف لاقتفاء اثر خطاهم، الصحافة وسيلة فورية فعالة للتعبئة السياسية او الثقافية وغيرها، للتأثير على رأي المجتمع وتغييره باتجاه إتباع سياسة او هدف معين، فهي اذا الأداة الأولى للحركات التحررية للأمم ووسيلتها لإيصال نهجها وإيديولوجيتها لأوسع الشرائح والطبقات الاجتماعية.

ومن تلك الشعوب شعبنا الكلداني السرياني الاشوري الذي دشن لبنة مشوار حركته التحررية القومية بحركة فكرية ثقافية واسعة بواسطة مجموعة من الصحف والمطبوعات البسيطة بهيئتها وإخراجها التصميمي الفني لكن القوية بمضمونها ومحتواها الفكري والسياسي منها باكورة وطليعة صحافتنا جريدة (زهريرا دبهرا) التي أصدرها نخبة من رواد الفكر القومي المعاصر في الثاني من تشرين الثاني عام ١٨٤٩م في منطقة أورميا الإيرانية وباللغة السريانية، فقد شخص هؤلاء الرواد عبر خطاباتهم ومطبوعاتهم الأمراض التي تنخر كيان شعبنا مثل التخلف والأمية والفرقة والتشرذم، ووضعوا يدهم مصدر الداء وشخصوا له الدواء، وذلك بنشر الوعي القومي الوحدوي بين مسميات شعبنا الواحد، والترفع عن التشبث بالانتماءات الصغيرة من الطائفية والمذهبية والعشائرية والمناطقية والهواجس النفسية الفاصلة، والتي لا تفيدنا بشيء سوى تشتيت جهودنا وقوانا ومحو كيان وجودنا الروحي والقومي من على خارطة الوجود في الوطن، والمفارقة الكبيرة إن هؤلاء الرواد والرعيل الأول رغم ظروفهم القاهرة آنذاك من التخلف والأمية المتفشية والجهل والفرقة والحروب والبعد لمناطقي الشاسع، وعدم وجود هذا الكم من وسائل الاتصال والمعرفة، كانت أفكارهم وطروحاتهم وخطاباتهم وحدوية حتى النخاع وصميم الذات والوجدان وكأنهم يهمسون في آذان بعضهم بهذا التوجه القومي الإنساني النبيل دون أن يزايدوا أو أن يتاجروا أو أن يضحكوا على نقلون هذا أو ذاك.

فنرى التوجه القومي الوحدوي المستنير ينبع من أورميا وسلامس بإيران، ليطابق آراء وتوجهات أشقائهم في ديار بكر وخربوت ومردين وطور عابدين بتركيا، ومع أثير ونفحات الغيارى في بغداد وكركوك والحبانية واربيل ونينوى بالعراق، وعلى هذا النحو بين إخوتهم في زالين "قامشلي" ورأس العين بسوريا، فبرغم مرور ما يربو على قرن ونصف على هذا الخطاب القومي، والذي من دونه تجرعنا المرارة والعلقم وحصدنا الخيبة والخسارة والتشتت وضياع الغالي والنفيس، وخسرنا ما خسرناه لهذه الأسباب وغيرها مجتمعة.

وعلى الرغم من هذا البعد الزمني والسنين والمظالم التي ترتبت على هذا الواقع المزري، وبعد أن ولدت قبلة امتنا السياسية والمقدامة الحركة الديمقراطية الآشورية وفجرت ثورة الوعي القومي الوحدوي وحقنت أبناء امتنا من السهل والجبل بمصل في سبيل النهضة القومية واستحصال الحقوق المشروعة وغير المنقوصة، ومسحت الدم والدموع من وجنات هذه الأمة المسكينة والمكتوية بهذه الأوبئة القاتلة، وردت جزءا من مكانتها الروحية المعتبرة داخل الوطن وخارجه وخلدت اسم (زهريرا دبهرا) بجريدتها المركزية الغراء "بهرا" التي انطلقت منذ ٢٦ حزيران عام ١٩٨٢ أيام الكفاح المسلح للحركة الديمقراطية الآشورية، والتي رافقت مسيرة رفاق زوعا الميامين في حقيبة زادهم وهم يجوبون المناطق المحررة ويرسلونها للتنظيمات الداخل وبسرية، الى ان ضبط احد أعدادها مع الرفيق الخالد يوبرت شليمون في بغداد، والتي كانت دليلا دامغا لادانته ويعتلي بوساطتها خشبة الإعدام ليكون شهيدا لجريدة بهرا ويعمدها بدمه الطاهر، وكسلفه شيخ الصحافة السريانية الشهيد الخالد البروفيسور آشور يوسف صاحب جريدة (مهديانا اثورايا - مرشد الآشوريين) التي أصدرها في ١٩١٠ واستمرت لغاية ١٩١٥ حيث أعدم هذا المناضل القومي الفذ لآرائه السياسية وطروحاته القومية الوحدوية، وهذا النفر يسعى بكل الطرق البائسة لإرجاعنا إلى المربع الأول، عبر مؤسسات هزيلة ومائعة وخطابات هستيرية غوغائية وأقلام تستلم أجرها البخس بالكامل مقدما قبل ان تجر خطا أو تلامس أزرار لوحة مفاتيح الأحرف بعيدة كل البعد عن المنطق والواقع، وتثخن من عمق جراحاتنا، وكأننا- حسب رأيهم السلاح- أمة في قمة رفاهيتها ومجدها ولا ينقصنا شيء سوى هذه الترهات والافتراءات الفارغة والمضحكة لإلهاء شعبنا، لذا على كتابنا وأدبائنا أن يسخروا مداد أقلامهم لما فيه خير وخدمة امتنا وسبل لملمة شملها، وان يصب في بناء وعلو شأنها، فقد فاتنا الكثير ونحن خلال سبات أشبه بالموت الطوعي ومتأخرين بما فيه الكفاية، والتوجه بهمة فولاذية لبحث وإبراز تراثها وفلكلورها وترميم معالم وجودها وإظهار وجهها المشرق من خلال شخصياتها الأفذاذ والمبدعين والعباقرة من الأطباء والحكماء والفنانين والمطربين والأدباء والشعراء والكتاب والنقاد والرياضيين وغيرهم، والتوجه لعقد مؤتمر عام بهذا الصدد تحضره الشخصيات والمؤسسات الإعلامية المختلفة لشعبنا من الداخل والخارج وتدرس فيه سبل النهوض بواقع الإعلام والصحافة القومية الوحدوية الهادفة والتصدي للإعلام المضاد لمسيرتنا الوحدوية المباركة وتشويه قضيتنا وتحريف مسارها وطمس سفر تراثنا وارثنا الحضاري والإنساني الثر.

وفي كل المجالات فان هذا العمل لهو من صلب واجبات الإعلاميين والكتاب والصحفيين، لكي لا تنسى الأجيال اللاحقة عظمة الإسلاف ومساهماتهم الخلاقة في خدمة الإنسانية لان زماننا لم يألف هذا الكم والنوع الهائل من الثورة التكنولوجية والمعلوماتية بما فيها الأجهزة الإعلامية المرئية والمسموعة والمقروءة المنتشرة حاليا والتي بفضلها أصبح العالم اليوم قرية الكترونية صغيرة تدار بالأزرار، وكما ذكرنا أن جزءا من صميم رسالتنا القومية هو إظهار عظمة من طوتهم صفحات الزمن، وتم الكشف عن كثير من شخصيات هذه الأمة من قبل أناس وبجهود الغيورين من خارج البيت القومي، وعلينا الاحتفاء بطرق عدة بهذه المناسبة الميمونة عيد الصحافة السريانية وتسليط الأضواء عليها على اعتبارها حدثا قوميا مهما وجليلا ويستحق منا الوقوف والدراسة والتحليل لمعطياته القومية والإنسانية قياسا بتلك الوقت ووفق تلك الظروف العصيبة..

تحية فخر واعتزاز بهذه المناسبة الجليلة لأدبائنا وكتابنا وصحفيينا ولكل صاحب فكر نير وقلم يسخر مداده صوب التوجه القومي الوحدوي، ولخدمة قضيتنا العادلة...

بهرا
ARBAILLO
بانيبال
إعلان